التقديم والتأخير
في الأمثال العربية الفصيحة

دكتور
عادل محمد جليوي الرفاعي
قسم اللغة العربية

حولية
مجلة
الدراسات
الإسلامية

حولية
كلية
الدراسات
الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

يتناول هذا البحث موضوع التقديم والتأخير في الأمثال العربية الفصيحة، وموقف العلماء من الاستشهاد بها، والسعي إلى دراستها للوقوف على ما وراء هذا التقديم والتأخير من دلالات ومعان بلاغية. وانتفع البحث من بعض الدراسات السابقة التي تناولت المثل عموما لا سيّما رسالة الباحثة (غادة البواب) وهي عنوان "التقديم والتأخير في المثل العربي"، كما اعتمدت الدراسة على واحد من أهمّ مدوّنات الأمثال العربية وهو "مجمع الأمثال" للميداني، بالإضافة إلى جملة من المصادر الأخرى التي أغنت البحث وأفادته.

وقد تناول البحث نظرة النحاة والبلاغيين من التقديم والتأخير عموما، ومن من المثل العربي خصوصا. كما تناول البحث تجليات التقديم والتأخير في الجملة الاسمية، وحالات دخول (إنَّ) وأخواتها، و (كان) وأخواتها عليها، وكذلك الحال فيما يتعلّق بالجملة الفعليّة وشبه الجملة الظرفيّة والجار والمجرور. وعرضت الخاتمة أبرز النتائج التي توصلَت إليها الدراسة.

الفصل الأول

ظاهرة التقديم والتأخير عند اللغويين العرب

مما لا شكّ فيه أنّ التقديم والتأخير من القضايا المهمة والرئيسية التي تناولها اللغويون العرب وغيرهم من أبناء اللغات الأخرى، وهي عندهم مسألة عُدول عن الأصل، وكان قد وصفها بلاغيو اللغة اللاتينيّة القديمة بأنها "انحراف" و تعدٍّ "على الحدود"[١]، وهذا الشكل باعتباره انحرافا بلاغيا يؤدي إلى التعبير عن حالة وجدانية عبر المرور بمرحلة إلزامية تعمل على محاولة صياغة الأفكار من جديد. والتقديم والتأخير في نهاية المطاف يعد "فصلا لعناصر نحوية مرتبطة، وإضافة لعناصر جديدة، وهو بذلك من المحسنات الصعبة لأنه ينطوي على الإبهام"[٢].

وفي تناول النحاة القدامى للتقديم والتأخير في مباحثهم المختلفة ومصنفاتهم كانوا يحسّنون بعضه ويقبّحون بعضه، "فيُروى عن الخليل بن أحمد في حديثه عن التقديم والتأخير أن بعضه حسن وبعضه قبيح"[٣]. وجعل الخليل القياس في ذلك "أن يكون التقديم على نية التأخير، فبمراعاة هذا الشرط يتجلى الحسن، وبغير مراعاته يصبح الكلام قبيحا؛ لأنه إمّا أنْ يؤدي إلى لبس، كما في تقديم المفعول حين يصبح فاعلا"[٤].

---

١ توماس أ. سلوان، موسوعة البلاغة، جزء ٢، ترج. مجموعة من المترجمين، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٦، ص ٢٠٨.
٢ المرجع السابق، ص ٢٠٨.
٣ غادة البواب، التقديم والتأخير في المثل العربي-دراسة نحوية بلاغية، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠٠٦، ص ١٧.
٤ المرجع السابق، ص ١٧.

وأخذ نقاش هذه المسألة مساحة واسعة من نقاش اللغويين العرب وبحثهم في اللغة، ووصل عدد غير قليل منهم إلى نتائج عديدة تبين الأهداف والفوائد التي تنتج عن التقديم والتأخير في اللغة. ولعل إحدى أهمّ الآراء المقدمة من اللغويين في هذا الإطار هو اعتبار الغاية من التقديم بالدرجة الأولى للأهميّة وتقدير المقامات والأحوال الدلاليّة، فقد أكّد سيبويه على أن التقديم والتأخير يكون لغرض بلاغي يقوم أساسا على أهمية المعنى المقدّم، فـ "اتخذ التقديم والتأخير وسيلة للعناية والاهتمام"[١] بما يُقدّم على غيره من عناصر الكلام، يقول سيبويه: "... كانوا يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم"[٢]. فالمُقدّم من عناصر الكلام وإن كان يشترك مع المتأخر في الأهميّة، إلا أنّه يفوقه أهميّة؛ فبما أنّ العنصر الكلامي ظاهر، فلا بدّ له من وظيفة وأهميّة دلالية وإلا لما ظهر في الجملة، إلا أنّ ما يتقدّم "بيانه أهمّ" بلفظ سيبويه.

وقد تكون الأهمية في المتقدم قائمة على غرض بلاغي محدد، كأن يكون الحكم في الجملة محصورا في المتقدم، ويظهر مثل هذا في قوله تعالى: "إياك نعبد وإياك نستعين"[٣]، كلمة "إياك" في الآية الكريم في موضع نصب للفعلين "نعبد" و "نستعين" على أنّهما (بتكرارها مع الفعلين) مفعول به، وتقدّما على عامليهم ليدلا على أن الفعلين محصوران في المفعول به.

---

١ المرجع السابق، ١٧.
٢ سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨، ط٣، ج١، ص٣٤.
٣ سورة الفاتحة: ٥.

أو قد يكون الغرض تقديم الغامض المحتاج إلى بيان، وهذا يثير الشوق لمعرف التفصيل ويلفت الانتباه بشكل خاص، ومثل ذلك قول الشاعر:

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحق والقمر

فتقدُّم كلمة ثلاثة وهي المسند إليه على الفعل تشرق يثير الرغبة في معرفة تفصيلها، وهذا يجعل البيت جاذبا للقارئ مثيرا فيه الرغبة في قراءته.

ويجعل بعض الباحثين التقديم والتأخير عند النحاة ليس بابا نحويا ولم يعرّفه النحاة حصرا بسبب شدّة حضوره وسيطرته على درسهم اللغوي، فكأنّه معلوم بالضرورة لا يقوم النحو بدونه[١]. وتحدث ابن جني في "الخصائص" عن التقديم والتأخير ، وذهب إلى أن التقديم على ضربين: أحدهما ما يقبله القياس ، والآخر ما يسهله الاضطرار..."[٢].

وهناك دراسات عديدة تتبعت مقولات النحاة العرب في التقديم والتأخير، وصنفوا أقوالهم ومذاهبم في المسألة، الأمر الذي يغني الدراسة الحالية عن تتبع آرائهم بشكل كامل، وذلك يخرج عن غرض الدراسة. ومن تلك الدراسات رسالة الماجستير لغادة البواب بعنوان: "التقديم والتأخير في المثل العربي – دراسة نحوية بلاغية"، وقد تقدّم توثيقها. ومع ذلك،

١ علي أبو القاسم عون، بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، دار المدار الإسلامي بيروت، ط ١ ، ٢٠٠٦، ص ٤٣.
٢ انظر: ابن جني، الخصائص، تحقيق محمّد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، ط٣، ج٢، ص٣٩٠.

ربما يحسن ذكرُ مزيد من الأمثلة على مواقف النحاة العرب من التقديم والتأخير لتكون الإشارة إلى مواقفهم غير ناقصة.

وبالعودة إلى سيبويه تذكر(غادة البواب) أن التقديم عنده لا يقتصر على الأهمية والعناية حسب، "وإنما لعلل بلاغية أخرى، ومنها التقديم في باب ظن"[١]، وفي يكون موقف المتحدث قد طرأ عليه تغيير أثناء الكلام فتحوّل "يقينه إلى شك، فألزمه تغيير وضع الألفاظ عما ان ينبغي أن تكون عليه"[٢].

وجعل ابن جنيّ التقديم والتأخير على شكلين قائلا: "التقديم على ضربين: أحدهما يقبله القياس، والآخر يسهله الاضطرار. فالأول كتقديم المفعول على الفاعل وعلى الفعل، وكذلك ظرف الزمان والاستثناء يتقدم على الاسم دون الفعل..."[٣]

وفي كتابه "المحتسب" نجده يوضح أهمية التقديم بلاغيا، ويقرر أنّ أصل وضع المفعول به أن يكون فضلة وبعد الفاعل نحو :(ضرب محمد زيداً)

١ غادة البواب، التقديم والتأخير في المثل العربي، ص ١٨.
٢ المرجع السابق، ص ١٨.
٣ ابن جني، الخصائص، ج٢، ص ٣٩٠.

، فإذا عني بذكر المفعول به قدم على الفاعل نحو :(ضرب زيداً محمد) ، "فإن زادت عنايتهم به قدموه على الفعل ، نحو: (زيداً ضرب محمد)"[1].

وتحدّث ابن فارس في كتابه "الصاحبي" عن هذه الظاهرة وأكد أنها من خصائص الكلام العربي، وضرب مثلا: قول ذي الرمة:

ما بال عينِك منها الماء ينسكب

أراد : ما بالك عينِك ينسكب منها الماء..."[2].

وكذلك الأمر تحدث الزمخشري عن التقديم والتأخير، وتحدث عنه أيضا الشافعي والمبرد وابن يعيش وابن هشام والسيوطي، وغيرهم...[3].

---

١ انظر: ابن جني، المحتسب، تحقيق مصطفى الحلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ج١، ١٩٥٤، ص٦٥-٦٦، وانظر التفصيل مع الأمثلة: غادة البواب، التقديم والتأخير في المثل العربي – دراسة نحوية بلاغية، ص ٢١.

٢ أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، د.ت، ص٤١٢. نقلا عن غادة البواب، التقديم والتأخير في المثل العربي – دراسة نحوية بلاغية، ص ٢١.

٣ انظر: الشافعي، شرح الكافية الشافية، تحقيق على محمد معوض وعادل أحمد بن الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ج١، ص٣٣٣. وانظر: المبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط٢، ج٤، ص١٠٢. وانظر: الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، حققه وعلق عليه محمد محمد عبد المقصود وحسن محمد عبد المقصود، دار الكتاب المصري، اللبناني، القاهرة، بيروت، ط١، ٢٠٠١، وانظر: موفق الدين بن يعيش النحوي، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، ج١، ص١٠٢. ولمزيد من التفاصيل انظر: غادة البواب، التقديم والتأخير في المثل العربي – دراسة نحوية بلاغية، ص ١٧-٢٢.

ومن جهود البلاغيين العرب في دراسة ظاهرة التقديم والتأخير في اللغة، لا بد من تناول ما قاله أحد أهم البلاغيين العرب وهو عبد القاهر الجرجاني الذي قدّم وصفا للتقديم والتأخير مهيبا وجليلا اشتُهر كثيرا بين دارسي البلاغة العربية، وهو قوله في وصف هذا الباب: "هو بابٌ كثيرُ الفوائد، جَمُّ المحاسن، واسعُ التصرُّف، بعيدُ الغايةِ، لا يزالُ يَفْتَرُّ لك عن بديعةٍ، ويُفْضِي بكَ إلى لطيفةٍ، ولا تزالُ ترى شِعْراً يروقُكَ مَسْمَعُهُ، ويَلْطُفُ لديكَ موقعُهُ، ثم تنظرُ فتجد سببَ أنْ راقك، ولطُف عندك، أنْ قُدِّم فيه شيء، وحُوِّل اللَّفظ عن مكانٍ إلى مكان"[١].

وفي هذا القول المحكم من واحد من أهمّ أعلام البلاغة العربيّة توضيح وبسط لمكانة هذا الباب عند البلاغيين العرب، فالجرجاني يجعل التقديم والتأخير أحد الأسباب المهمة التي تجعل السامع يميل إلى قول ويفضله على سواه، ليس فقط على المستوى الجمالي، وإنما أيضا على مستوى التصديق والاقتناع، وهو ما يظهر في قوله "يروقك"، فهذه الكلمة لاتقتصر في دلالتها على الميل على المستوى الجماليّ، بل تتضمن الإشارة إلى التصديق على مستوى المعنى والدلالة، فيكون للتقديم دور مهم في الحجاج والإقناع.

وتبقى الغاية المحورية عند النحاة والبلاغيين من التقديم العناية الخاصة بالمُقدّم ورتبته ولفت الانتباه له، ويمكن متابعة مثل هذا عند القزوينيّ

١ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ط٣، ص١٠٦.

في كتابه "الإيضاح في علوم البلاغة"، الذي يجعل فيه تقديم المسند على المسند إليه للتخصيص أو التنبيه أو للتفاؤل أو للتشويق إلى ذكر المسند إليه[1]. وكذلك يخصّ السكاكي في كتابه "مفتاح العلوم" ظاهرة التقديم بعناية خاصة ويجعل هدفها الرئيس هو رتبة ما يُقدّم والتركيز على مكانته وأهميّته[2].

أما فيما يخص جهود النحويين والبلاغيين المُحْدَثين في دراسة التقديم والتأخير، فقد تتبعت غادة البواب عددا غير قليل منهم[3]، وظهر مدى عنايتهم الفائقة بهذه الظاهرة، ومن هؤلاء عبد العزيز عتيق، في كتابه "في البلاغة العربية علم المعاني"، ومحمد عبد المطلب، في كتابه "في البلاغة العربية قراءة أخرى"، ومحمود أحمد نحلة، في كتابه "في البلاغة العربية علم المعاني"، وأحمد مصطفى المراغي، في كتابه "علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع"، ورجاء عيد، في كتابه "فلسفة لبلاغة بين التقنية والتطور". ومن الكتب النحوية المعاصرة التي تحدثت عن التقديم والتأخير كتاب "الرتبة النحوية في الجملة العربية المعاصرة" لإبراهيم صالح الخلفات، وكتاب "من أسرار اللغة" لإبراهيم أنيس ،

١ انظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط٣، ج٢، ص١٣٦.
٢ السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه محمد زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ط٢، ص٢٣٦.
٣ انظر: غادة البواب، التقديم والتأخير في المثل العربي – دراسة نحوية بلاغية، ص ٢٣-٢٧.

وكتاب "اللغة العربية معناها ومبناها" لتمّام حسان، وكتاب "تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا مع نهج تجديده" لشوقي ضيف[١].

ويبقى المثل ذا قيمة عالية عند اللغويين للاستشهاد به وبناء القواعد بالاعتماد عليه، فعلى الرغم من خلاف النحاة بين من يعتمد المثل حجةً في اللغة أو عدم اعتماده، تعد الأمثال العربية الفصيحة واحدة من الأصول اللغوية التي استُشهد فيها عند عدد غير قليل من النحاة العرب، فبنى النحاة بالاعتماد عليها القواعد وكان حضورها بارزا ضمن مصادر الاستشهاد اللغوية الأخرى. وتذكر غادة البواب إحصائية تذكر فيها العدد الكبير للأمثال في كتب النحاة العرب في مؤلفاتهم تُبيّن أهمية هذه الأمثال في الاستشهاد بها، و"في بناء القواعد النحوية، أو تأصيلها، أو تعضيد الشاهد القرآني، أو الشاهد الشعري"[٢].

ولضرب مثل على خلاف حول مسألة لغوية بالاعتماد على المثل، يمكن ذكر الخلاف بين اللغويين حول جواز تقديم الخبر حين يكون مفردا معرّفا، فقد أجازه علماء النحو لأنه مؤخر في النيّة، فيذكر ابن الأنباري في كتابه الإنصاف: "ذهب الكوفيون إلى أنه لا يجوز تقديم خبر المبتدأ عليه مفردا كان أو جملة، فالمفرد نحو: (قائم زيد، وذاهب عمرو)، والجملة نحو: (أبوه قائم زيد وأخوه ذاهب عمرو). وذهب البصريون إلى أنه يجوز تقديم خبر المبتدأ عليه، المفرد والجملة. أما الكوفيون

١ انظر: غادة البواب، التقديم والتأخير في المثل العربي – دراسة نحوية بلاغية،، ص٢٣-٢٧/٣٠-٣٣.
٢ انظر: المرجع السابق، ص٩.

فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إنه لا يجوز تقديم خبر المبتدأ عليه، مفردا كان أو جملة؛ لأنه يؤدي إلى أن تقدم ضمير الاسم على ظاهره، ألا ترى أنك إذا قلت: قائم زيد، كان في قائم ضمير زيد، وكذلك إذا قلت: أبوه قائم زيد، كانت الهاء في (أبوه) ضمير زيد، فقد تقدم ضمير الاسم على ظاهره، ولا خلاف أنّ رتبة ضمير الاسم بعد ظاهره، فوجب أن لا يجوز تقديمه عليه.

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: إنما جوّزنا ذلك؛ لأنه قد جاء كثيرا في كلام العرب وأشعارهم، فأما ما جاء من ذلك في كلامهم، فقولهم في المثل: (في بيته يؤتى الحكم). وقولهم: (في أكفانه لف الميت). و(مشنوء من يشنوك). وحكى سيبويه: تميميّ أنا. فقد تقدم الضمير في هذه المواضع كلِّها على الظاهر؛ لأن التقدير فيها: الحكم يؤتى في بيته، والميت لف في أكفانه، ومن يشنؤك مشنوء، وأنا تميميّ..."[1].

وهذا الجدل والنقاش يظهر في الأساس أهميّة هذه الظاهرة في الدرس اللغوي، وهو ما يستدعي معاودة النظر فيه ودراسته وتتبع أمثلته وتجليّاته في اللغة، وما يمكن أن تمثّله هذه الظاهرة في الدرس اللغوي الحديث، وسيتم تتبع مظاهر التقديم والتأخير في المثل العربي فيما يلي من فصول.

١ أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ط١، ج١، ص٥٦.

الفصل الثاني

التقديم والتأخير في الجملة الاسمية

شرط الجملة في الأساس أنها كلام ذو فائدة، مكتمل بذاته لا يحتاج إلى غيره لتمام معناه، وهي في العربية نوعان: الجملة التي تتكون من مبتدأ وخبر، والجملة التي تتكون من فعل وفاعل[1]. ومن المعروف عند المشتغلين بعلم النحو أن المبتدأ هو اسم مرفوع يبدأ الكلام به، لم تعمل به العوامل اللفظية، وينتظر الحكم عليه في الخبر، وحالتاه الاسم المفرد الصريح والمصدر المؤوّل، ويتمّ معناه في الخبر الذي يكتمل به المعنى ويظهر فيه الحكم والفائدة[2]. وفي الخبر تتم الفائدة ويظهر الحكم المُنتظر إطلاقه على المبتدأ، ويأتي الخبر على أنواع، فيذكر ابن جنيّ في كتابه اللمع "أن الخبر على الضربين مفرد وجمل... أما الجملة فهي كل كلام مفيد مستقل بنفسه، وهي على ضربين، جملة مبتدأ وخبر وجملة مركبة من فعل وفاعل."[3]

والمبتدأ في الأصل حقه التقدم على الخبر بغض النظر عن نوع الخبر، والخبر يتأخر عن المبتدأ[4]. وثمة مجموعة من الشروط تجعل المبتدأ

---

١ عثمان أبو الفتح ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، ج١، تح. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٨٥، ص

٢ انظر: جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق وشرح عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٢، ص٥.

٣ ابن جني، اللمع في العربية، دار الثقافة، الكويت، ٢٠١٠ ص ٢٩-٣٠.

٤ السيوطي، همع الهوامع، ج٢، ص٣٢.

يتأخر والخبر يتقدّم، وهذا التأخير للمبتدأ والتقديم للخبر قد يأتي جوازا أو وجوبا بناء توفر هذه الشروط في الجملة.

يجوز أن يتقدم الخبر على المبتدأ إذا لم يسبب ذلك التباسا في فهم معنى الجملة[١]، فعلى سبيل المثال: العلم نور / نور العلم ، أنا مسلم / مسلم أنا، وقوله تعالى "سلام هي حتى مطلع الفجر"، فـــ(سلام) خبر مقدم مرفوع ، و(هي) ضمير رفع منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ مؤخر ، والتقدير (هي سلام) فالخبر هنا متقدم على المبتدأ جوازا. ومثله قوله تعالى "وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون" فـــ(آية) خبر مقدم، و(الليل) مبتدأ مؤخر، جوازا ، والتقدير (والليل آية لهم ...).

ومن أمثلة ذلك في الأمثال العربية الفصيحة: (وعند جهينة الخبر اليقين)[٢]، فقد تقدم الخبر (عند جهينة) على المبتدأ (الخبر) جوازا ، وذلك لأن الخبر في هذا المث هو "محور المعنى والعنصر الذي يشغل ذهن المتلقي ، فلو تقدَّم المبتدأ على الخبر لفقدت الجملة وقعها في نفس المتلقي من ناحية المعنى لاسيما أن تقديم المبتدأ في هذا المثل يعني أن الخبر عند جهينة وعند غيرها ، أما مع تقديم الخبر فقد برز العنصر

١ انظر: السيوطي، همع الهوامع، ج٢، ص٣٢-٣٤.
٢ الميداني، أحمد بن محمد النيسابوري، مجمع الأمثال، قدم له وعلق عليه نعيم حسن زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج٢، ص٦.

الذي يشغل ذهن المخاطب ، وهو جهينة فانتفى كون الخبر عند غيرها"[١].

وكذلك الحال في المثل: "في الطمع المذلة للرقاب"[٢] تقديم للخبر جوازا على المبتدأ، فالخبر شبه الجملة "في الطمع" مقدّمة على المبتدأ "المذلة"؛ وغير خفي ما في التقديم من إبراز لقبح الطمع وشره على الإنسان، فكان تقديمه أولى في الدلالة للفت الانتباه وتبشيع صورته لدى السامع.

وفي المثل: "حيلة من لا حيلة له الصبر"[٣]، يظهر فيه تقديم الخبر؛ فهو في أصله الصبر فيه هو المبتدأ، و كلمة حيلة هي الخبر، وهذا على سبيل الجواز، فلا ضرورة لغوية لذلك، لكن على المستوى الدلالي لأن الأصل في تحمّل الإنسان المشاق والصعاب ليس الحب لها، وإنما هذا التحمل لها والصبر عليها ضرب من الحيلة للتعايش معها لعدم وجود وسيلة للخلاص، لذلك كان تقديم الحيلة ذا دلالة مهمة.

ويُحمل على الأمر نفسه أمثال أخرى عديدة، منها: "في النصح لسع العقارب"[٤]، "به داء الظبي"[٥]، ففي هذا الأخير إشارة واضحة إلى أنّ الأمر يتعلق بم يُشار له في سياق الحديث، وليس الموضوع صحة جسد الظبي أو قوّته، فإن ذلك مشهور عند العرب ولا يحتاج إلى إثبات، ولكن الأمر

---

١ غادة البواب، التقديم والتأخير في المثل، ص٥٢.
٢ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٩٥.
٣ أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨، ط٢، ج١، ص١٦.
٤ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٩٥.
٥ الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص١٣٥.

إلحاق شخص في قوّته وسلامة بدنه وصلابة صورته في الجريّ وقطع المسافات.

يظهر مما تقدّم أنّ تقديم الخبر على المبتدأ جوازا لا يكون لحاجة تمليها القاعدة اللغوية، وإنما يكون الأمر لسمة دلالية تبرز من خلال وضع الخبر في أول الجملة الاسمية، فتلفت انتباه المتلقي إلى ما فيه من معنى، وما يجب التفكير فيه بشكل بارز.

تقديم الخبر على المبتدأ وجوبا:

يجب تقديم الخبر على المبتدأ وجوبا في مواضع منها[١]:

١- أن يكون المبتدأ نكرة والخبر شبه جملة. نحو : في الندوة أستاذٌ ، في الفصل طالب، فوق الطاولة قلم، ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى : "ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب"، وقوله تعالى : (ولدينا مزيد)، فتقدم الخبر (في الندوة ، في الفصل ، فوق الطاولة ، على أبصارهم ، ولدينا) على المبتدأ (أستاذ ، طالب ، قلم ، غشاوة ، مزيد)، وجوبا؛ لأن المبتدأ نكرة، والخبر شبه جملة سواء أكان ظرفا أو جارا ومجرورا. ولأن المبتدأ النكرة إذا تأخر عنه خبره الجملة أو شبه الجملة فقد يتوهم السامع أن المتأخر صفة لا خبر[٢].

---

١ انظر: السيوطي، همع الهوامع، ج٢، ٣٥-٣٦.

٢ انظر: عباس حسن، النحو الوافي، ج١، ص٤٥١، نقلا عن غادة البواب، التقديم والتأخير في المثل العربي - دراسة نحوية بلاغية، ص ٤٤.

ومن الأمثلة التي تشملها هذه الحالة ما جاء في الأمثال العربية الفصيحة المثل الشهير: (لكل مقام مقال)[١]، وهو في أصله مقال لكل مقام، لكن الخبر نكرة والمبتدأ شبه جملة من الجار والمجرور (لكل مقام)، فوجب تقديم الخبر لضرورة القاعدة اللغوية، قبل أي قيمة دلاليّة. ومع ذلك، الضرورة اللغوية التي أوجبت تقديم الخبر من الناحية الشكلية لا تنفي الأهمية الدلالية في التقديم، فتقديم كلمة المقام له دلالة مهمة، فالمقام يدل على رتبة المرء ومكانته، وفي التقديم لهذه الكلمة إشارة إلى تلك الرتبة التي ينبغي أن تحفظ ولا يممسسها إقلال من مكانتها. فيحدث بهذا الشكل تواؤم وتوازٍ بين الدلالة للكلمة والشكل النحوي الذي يجب أن تنضبط به الجملة. ويجري الأمر نفسه في أمثال أخرى كثيرة، منها مثلا: "للباطل جولة ثم يضمحل"[٢]، وقول امرئ القيس: "اليوم خمر وغدا أمر"[٣]، وقول لقمان الحكيم لابنه: "لكل قوم كلب ، فلا تكن كلب أصحابك"[٤]. في هذه الأمثلة، الأصل في التركيب تقدّم الخبر على المبتدأ، لكن لأن الخبر شبه جملة وجب تقدمه على المبتدأ، وفق ما تمليه القاعدة النحوية التي توجب تأخر المبتدأ إذا كان نكرة، وتقدم شبه الجملة عليه.

ومن ذلك المثل "(في رأسه نعرة)[٥] ، النعرة: هي الذباب يدخل في أنف الحمار، ويضرب هذا المثل للطامح الذي لا يستقر على شيء. فتقدم

١ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٢٣٥-٢٣٦.
٢ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٢٣٧.
٣ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٤٩٥-٤٩٦.
٤ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٢٣٨.
٥ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٨٤.

الخبر (في رأسه) وجوباً ؛ لأن المبتدأ (نعرة) نكرة ولا مسوغ للابتداء بها إلا تقدم الخبر. فقُدم شبه انسجاما مع القاعدة النحوية التي لا تجيز الابتداء بالنكرة. فلو قُدّم المبتدأ لكانت شبه الجملة صفة وليس خبرا وانتقض المعنى المقصود"[١].

وقولهم: (في رأسه خطة)[٢] ، بمعنى أنه أعدّ في نفسه أمرا عزم على القيام به وتنفيذه. فتقدم الخبر على المبتدأ وجوباً، لأن المبتدأ نكرة ولا يجوز الابتداء بالنكرة. و"البنية العميقة للمثل (خطة في رأسه)، وهذه البنية توهم السامع أن المتأخر (في رأسه) صفة لا خبر، وتشعره بأن محط الاهتمام هو الخطة وأنها معلومة لدى المتحدث، أما البنية السطحية للمثل فتخبر بوجود شيء ما في نفس هذا الشخص ، لكن المتحدث لا يعلمه"[٣].

ومن ذلك المثل "لكلّ أناس في بعيرهم خَبّ" ويضرب هذا المثل في الإشارة إلى أن الناس يعرفون عن أصحابهم ما لا يعرفه الغرباء، الذين قد يأخذهم الشكل من الناس فيظنون غير الحقيقة فيهم. ويذكر الميداني ما أورده الجاحظ من أنّ العلباء بن الهيثم السدوسي كان قد كلّم عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين وفد مع أهله إليه، "وكان أعور دميما جيد اللسان حسن البيان، فلما تكلّم أحسن، فصعّد عمر رضي الله عنه فيه

---

١ غادة البواب، التقديم والتأخير في المثل، ص٤٥.
٢ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٨٤.
٣ غادة أحمد البواب، التقديم والتأخير في المثل، ٤٥. وانظر: عبد اللطيف محمد حماسة، من الأنماط التحويلية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠، ط١ ص٧٥.

وحدره، فلما فرغ قال عمر رضي الله عنه: لكل أناس في جملهم خبَرٌ"[1]. وفي هذا المثل تقدّم الخبر شبه الجملة (لكل أناس في بعيرهم) على المبتدأ (خبَرٌ) ليتناسب مع القاعدة التي توجب تقدم الخبر على المبتدأ إذا كان نكرة والخبر شبه جملة. ومن الناحية الدلالية لا يخفى على الناظر في هذا المثل أن المعنى يرتبط بعلاقة الناس ببعضهم، وأنهم يعرفون عن أنفسهم ما يتجاوز الشكل إلى الجوهر، وهذه المعرفة ناتجة عن المعرفة بين الجماعة، لذلك تقدم الناس على الخبر، أي السبب على النتيجة.

وتحمل الأمثال التالية على التفسير نفسه: "لكل جابه جوزةٌ ، ثم يؤذن"[2]، "لكل جنب مصرع، ولكل دهر رجال، ولكل غد طعام، ولكل عود عصارة..."[3]، "لكل صباحٍ صبوحٌ"[4]، "لفُلانٍ كحلٌ ولفلانٍ سوادٌ"[5]، "لله درُّه"[6]، "لكل ساقطةٍ لاقطةٌ"[7]، "في الله تعالى عوض عن كل فائت"[8]، "في الخير له قدم"[9]، "في الأرض للحر الكريم منادح"[10].

---

١ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٢١٣.
٢ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٢٣٨.
٣ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٢٣٩-٢٤٠.
٤ المرجع السابق، ٣٢٦٨، ج٢، ص٢١٦.
٥ المرجع السابق، ٣٣٣١، ج٢، ص٢٢٧.
٦ المرجع السابق، ٣٣٢٨، ج٢، ص٢٢٦.
٧ الرجع السابق، ٣٣٤٠، ج٢، ص٢٢٩.
٨ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٩٦.
٩ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٨٧.
١٠ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٩٥.

ومن أمثلة تقديم الخبر على المبتدأ وجوبا في الأحاديث النبوية الشريفة، قوله صلى الله عليه وسلم: "في كل ذات كبد رطبة أجر"[١]. ففي هذا الحديث الشريف تقديم وتأخير بين المبتدأ والخبر وخروج عن النظام الأصلي للوضع في الجملة العربية؛ إذ أصل التقدير: أجر في كل ذات كبد رطبة، ولكن الخبر تقدم والمبتدأ تأخر تماشيا مع القاعدة النحوية.

وقوله أيضا عليه الصلاة والسلام "ومثل الذي يقرأ وهو يتعاهده وهو عليه شديد، فله أجران"[٢]. أصل التقدير فيه : فأجران له ، ولكن الخبر تقدم على المبتدأ؛ لأن المبتدأ نكرة والخبر شبه جملة.

ومن ذلك قول العرب: "في المال أشراك وإن شح ربه"[٣] ، أَشْرَاكٌ : جمعُ شريك كما يُقَال: شَرِيف وأَشْرَاف يعنون الحادث والوارث. وأصل التقدير: أشراك في المال وإن شح ربه ، ولكن الخبر شبه الجملة (في المال) تقدم على المبتدأ (أشراك) وجوبا ؛ لأن المبتدأ نكرة والخبر شبه جملة.

---

١ صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ٥٥٥٠. وانظر: هاني طاهر محمد حسين، الأمثال النبوية في صحيح البخاري، دراسة لغوية دلالية، رسالة علمية صادرة عن جامعة النجاح الوطنية في نابلس بفلسطين الجريحة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص١٠٧.

٢ صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة عبس، ٤٥٥٦. وانظر: هاني طاهر، الأمثال النبوية في صحيح البخاري، ص١٠٧.

٣ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٩٥.

٢- أن يكون المبتدأ متضمنا لضمير يعود على الخبر[١]. كقوله تعالى: (أم على قلوب أقفالها)، الخبر هنا الجار والمجرور (على قلوب) والمبتدأ (أقفالها). والشاهد فيه وجوب تقديم الخبر شبه الجملة على المبتدأ (أقفالها)؛ لاشتمال المبتدأ على ضمير يعود على (قلوب)[٢]. ومن أمثلة ذلك أيضا: (في المزرعة مالكها) و(في المتجر مديره) و(في العيادة طبيبها) فالخبر وهو شبه الجملة في هذه الأمثلة (في المزرعة ، في المتجر ، في العيادة) تقدم، والمبتدأ (مالكها ، مديرها ، طبيبها) تأخر وجوبا؛ لاشتمال المبتدأ على ضمير يعود على جزء من الخبر. والأمثلة على ذلك كثيرة.

ومن أمثلة ذلك في أمثالنا العربية الفصيحة قول العرب في المثل: (في بطن زهمان زاده)[٣] ، زَهْمَانُ : اسم كلب، روى أبو الندى وابن الأعرابي زَهمان بفتح الزاي، وروى أبو الهيثم وابنُ دُرَيد بضمها . يضرب لمن يكون معه عُدَّته وما يحتاج إليه، وقَال أبو عمرو: أصله أن رجلاً نَحَر جَزُوراً فقسمها فأعطى زَهمان نصيبه، ثم رجع زهمان ليأخذ أيضاً مع الناس، فَقَال صاحب الجزور: في بطن زَهمان زاده. ويضرب المثل للرجل يطلب الشَيء وقد أخذه مرة. والشاهد في المثل هو تقدم الخبر (في بطن) على المبتدأ (زاده) على الوجوب، بسبب الضمير في كلمة

١ السيوطي، همع الهوامع، ج٢، ص٣٦.
٢ غادة البواب، التقديم والتأخير في المثل العربي – دراسة نحوية بلاغية، ص ٤٨.
٣ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٨٣. وانظر: المرجع السابق، ص ٤٩.

(زاده) الذي يعود على أحد متلعقات الخبر وهو (زهمان) وهو مضاف إليه. فالخبر قدم وجوبا لئلا يعود الضمير على متأخر لفظا ورتبة.

ومنه قولهم: "في عِضَةٍ ما يَنْبُتَنَّ شَكِيرُهَا"[١]، العضة: الشجر. يُقَال: شَكَرَتِ الشجرةُ تشكر شَكْراً، أي: خرج منها الشَّكِير، وهو ما ينبت حَوْلَ الشجرة من أصولها. يضرب في تشبّه الولد بأبيه. وتقدّم الخبر (في عضة) على المبتدأ (شكيرها) وجوبا؛ لأن المبتدأ اشتمل على ضمير يعود على الخبر. والخبر قدم وجوبا لئلا يعود الضمير على متأخر لفظا ورتبة.

٣- أن يكون الخبر مما له الصدارة في الكلام كأسماء الاستفهام[٢]. مثل: أين عمك؟ ومن زميلك؟ ومتى اللقاء؟ وكالخبر المضاف إلى اسم الاستفهام مثل: ملك من المزرعة؟ وصبيحة أي يوم تفحّم الإبل؟[٣].

ومن أمثلته في المثل العربي الفصيح قولهم: "مَتَى كانَ حُكْمُ الله فِي كَرَبِ النَّخْلِ"[٤]. وكَرَبَ النخل : أصولُ السَّعَف أمثال الكتف. ويضرب فيمن يَضَعُ نفسه حيث لاَ يستأهل. تقدم الخبر (متى) وجوبا على اسم كان (حكم) أو على المبتدأ (حكم) وذلك إذا جعلنا (كان) زائدة لوقوعها بين المتلازمين المبتدأ والخبر.

---

١ الميداني، مجمع الأمثال، ، ج٢، ص٩٠
٢ السيوطي، همع الهوامع، ج٢، ص٣٥.
٣ انظر: غادة البواب، التقديم والتأخير في المثل العربي – دراسة نحوية بلاغية، ص ٤٩.
٤ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٣٣٤.

ومثله قول العرب: (متى عهدك بأسفل فيك)[١]. "ويضرب هذا المثل للأمر القديم وللرجل يخرف قبل وقت الخرف"[٢]. فالخبر هنا مما له الصدارة في الكلام، والمبتدأ (عهدك) يأتي متأخرا وجوبا؛ وذلك للانسجام مع القاعدة النحوية التي توجب تقديم الخبر على المبتدأ إذا كان الخبر من أسماء الاستفهام.

٤- أن يكون دالا على ما يفهم بالتقديم ولا يفهم بالتأخير[٣].
ومثال ذلك من الأمثال العربية الفصيحة قولهم: لله درك[٤]. فلو أخر لم يفهم منه معنى التعجب الذي يفهم منه التقديم[٥].

٥- أن يأتي الاستخدام في مَثَلَ؛ "لأن الأمثال لا تغير ، فالأمثال لا يصح أن يدخلها تغيير لا في حروفها ، ولا في ضبطها ، ولا في ترتيب كلماتها"[٦]، كقولهم: "في كل أرض سعدُ بن زيد"[٧]، والأصل المقدر: سعد بن زيد في كل أرض، فتقدم الخبر على المبتدأ، وهو جائز، "وقد وصل إلينا المثل على هذه الصورة ، ولا يجوز تغييره"؛ لأن

---

١ الميداني، مجمع الأمثال، ، ج٢، ص٣٥٣.
٢ انظر: غادة البواب، التقديم والتأخير في المثل العربي – دراسة نحوية بلاغية، ص ٤٩.
٣ السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (٢٨٧/١).
٤ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٢٢٧.
٥ انظر: غادة البواب، التقديم والتأخير في المثل العربي – دراسة نحوية بلاغية، ص ٥٠.
٦ السيوطي، همع الهوامع، ج٢، ص٣٥. وانظر: غادة البواب، التقديم والتأخير في المثل، ص٥٠.
٧ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٩٩.

الأمثال لها خاصية في التراكيب، حيث تحتفظ بصورة معينة في الأداء اللغوي، وتحافظ على هذه الصورة؛ لأن المعنى الذي تقال فيه يكون أبلغ وهو في صورته التي قيل فيها، ولهذا تحتفظ الأمثال بقيمتها الجمالية والتعبيرية من خلال الصورة التي قيلت فيها بعيدا عن معايير النحو وضوابط النحاة وأقيستهم، ولهذا عُدّ المثل واحدا من مسوغات الخروج على الأصل التركيبي القياسي[١].

تقديم خبر إن وأخواتها:

الأصل في الجملة الاسمية كما قلنا من قبل أن يذكر المبتدأ وبعده الخبر، وعندما نُدخِل الحروف الناسخة (إن وأخواتها) عليها فإن هذه الحروف تتقدم الجملة الاسمية ويكون الترتيب فيها هكذا (البدء بالحرف الناسخ فاسم الحرف الناسخ فخبر الحرف الناسخ). ولا يجوز أن يتغير هذا النظام في الجملة من تقديم وتأخير بين الاسم والخبر إلا بمسوغ[٢].

لقد أجاز النحويون تقدم خبر الحرف الناسخ إذا كان ظرفا، أو جارا ومجرورا على الاسم، كما أجازوا تقديم الخبر في حالة اقتران الاسم بلام الابتداء، أو أن يكون في الاسم ضمير يعود على شيء في الخبر. ولا يجوز أن يتوسط الخبر بين العامل واسمه إلا في هذه الحالات المذكورة.

١ غادة البواب، التقديم والتأخير في المثل – دراسة نحوية بلاغية، ص ٥٠.
٢ المرجع السابق، ص ٥٣.

وقد فسر ابن يعيش هذا الجواز بأن العلماء توسعوا في الظروف وخصوها بذلك لكثرتها في الاستعمال[1].

"ومن الأمثال العربية التي يتوسط فيها خبر الناسخ بين الناسخ واسمه قول العرب: "كأن على رؤوسهم الطير"[2]، يضرب هذا المثل في الرزانة، والحلم، والركانة، وقلة الطيش، والعجلة، حتى كأن على الرءوس الطير؛ لسكونهم. فالخبر الجار والمجرور (على رؤوسهم) توسط بين الحرف الناسخ (كأن) واسمه (الطير) جوازا، وأصل التقدير (كأن الطير على رؤوسهم) فتقدم شبه الجملة هنا؛ "ليؤدي غرضا دلاليا وهو الاهتمام به ، ولو تقدم اسم كأن (الطير) على الخبر لقلّت أهمية الخبر من حيث المعنى وقلّ تبعا لذلك الاهتمام به ، فلما أريد إبراز الخبر وهو على رؤوسهم وليس على مكان آخر قُدّم الخبر لأهميته واختصاصه"[3].

وقال عليه الصلاة والسلام: (إنَّ في السَّحور بركة)[4]. الشاهد في هذا المثل النبوي الشريف هو تقدم الخبر الجار والمجرور (في السحور) على الاسم (بركة) وجوبا؛ لأن المبتدأ نكرة، وفي هذا التوسيط لشبه

---

١ ابن يعيش، شرح المفصل، ج١، ص١٠٣، نقلا عن: غادة البواب، التقديم والتأخير في المثل – دراسة نحوية بلاغية، ص ٥٣.
٢ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص١٧٥. نقلا عن غادة البواب، التقديم والتأخير في المثل – دراسة نحوية بلاغية، ص ٥٣.
٣ غادة البواب، التقديم والتأخير في المثل، ص٥٥.
٤ صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب بركة السحور، ١٧٨٩. وانظر: هاني طاهر، الأمثال النبوية في صحيح البخاري، ص١٠٨.

الجملة ووقوعها بين الناسخ واسم الناسخ غرض بلاغي ، فالتقديم هنا للبيان والاهتمام وللفت انتباه السامع[١].

وكقول العرب: (إنَّ في الشرّ خيارا)[٢]. أي: إن بعض الشر أهون من بعض. والشاهد فيه تأخير الاسم (خيارا) وتقديم الخبر (في الشّرّ)؛ لأنه نكرة والخبر شبه جملة. ومن الأمثلة أيضا قولهم : (لعلّ له عذرا وأنت تلوم)[٣]. "ويضرب لمن يلوم مَنْ له عذر ولا يعلمه اللائم"، والشاهد هنا هو توسط الخبر الجار والمجرور (له) بين الناسخ (لعل) واسمه (عذرا) وجوبا؛ لأن الخبر شبه جملة والاسم نكرة[٤].

وقال معاوية لما سمع أنّ الأشتر سقي عسلا فيه سم: "إنّ لله جنودا منها العسل"[٥] ، "ويضرب المثل عند الشماتة مما يصيب العدو"[٦]. والخبر هنا توسط بين الحرف الناسخ (إنَّ) واسم الناسخ وجوبا ؛ لأن الخبر شبه جملة ، والاسم نكرة (جنودا). و"زيادة على ما في ذلك من التخصيص من أن الجنود لله لا لغيره ، فقدم الخبر تحقيقا لهذا المعنى وتأكيدا له"[٧].

---

١ انظر: هاني طاهر، الأمثال النبوية في صحيح البخاري، ص١٠٨.
٢ الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٤٠.
٣ المرجع السابق، ج٢، ص٢٢٨.
٤ غادة البواب، التقديم والتأخير في المثل – دراسة نحوية بلاغية، ص ٥٥.
٥ الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٤٠.
٦ غادة البواب، التقديم والتأخير في المثل – دراسة نحوية بلاغية، ص ٥٥.
٧ المرجع السابق، ص٥٥.

وقولهم: (إن من ابتغاء الخير اتقاء الشر)[1] ، يروى هذا عن ابن شِهاب الزُّهري حين مدَحه شاعر فأعطاه مالا وقال هذا القول[2]. حيث قدم الخبر (من ابتغاء الخير) وهو شبه الجملة على الاسم (اتقاء الشر) وجوبا ؛ لأن الخبر شبه جملة والمبتدأ نكرة.

وقال صلى الله عليه وسلم "إنَّ من الشعر لحكمة"[3]. أي كلاما نافعا يمنع من الجهل والسفه. وقيل أراد به المواعظ والأمثال التي ينتفع بها. فالخبر (من الشعر) توسط بين الحرف الناسخ (إنَّ) واسمه (لحكمة) وجوبا؛ لاقتران الاسم باللام المزحلقة، ولأن الخبر شبه جملة والاسم نكرة. وقال عليه الصلاة والسلام "إنَّ من البيان لسحرا"[4] ، يعني أن بعض البيان يعمل عمل السحر ومعنى السحر : إظهار الباطل في صورة الحق. والبيانُ : اجتماعُ الفصاحة والبلاغة وذكاء القلب مع اللسَنِ . وإنما شُبِّه بالسحر لحدَّة عمله في سامعه وسرعة قبول القلب له. ويضرب في استحسان المنطق وإيراد الحجَّة البالغة. فالخبر هنا (من البيان) توسط بين الناسخ (إن) واسمه (لسحرا) وجوبا، بسبب اقتران الاسم باللام المزحلقة والخبر شبه جملة واسمه نكرة[5].

---

١ الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ١١٤-١١٥.
٢ الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ١١٤-١١٥.
٣ صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر، ٥٦٧٩. وانظر: هاني طاهر، الأمثال النبوية في صحيح البخاري، ص١٠٩.
٤ المرجع السابق، كتاب النكاح، باب الخطبة، ٤٧٤٩. الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٣٥. وانظر: هاني طاهر، الأمثال النبوية في صحيح البخاري، ص١٠٩.
٥ انظر: غادة البواب، التقديم والتأخير في المثل – دراسة نحوية بلاغية، ص ٥٥.

وهناك الكثير من الأمثال العربية الفصيحة التي انسجمت مع هذه القاعدة النحوية فنجد الخبر فيها متوسطا بين الحرف الناسخ واسمه ، وخارجا عن الرتبة النحوية الأصلية الوضع ، وما هذا الخروج على القاعدة النحوية إلا بشروط عدها النحاة، ولأغراض بلاغية لمحها البلاغيون[١].

تقديم خبر كان وأخواتها عليها وعلى اسمها

"الأصل في ترتيب عناصر الجملة التي تدخل عليها الأفعال الناسخة البدء بالفعل الناقص، فالاسم ، فالخبر. وقد يترك خبر الفعل الناقص مكانه الأصلي فيتوسط بين الفعل الناسخ والاسم، وقد يتصدر الجملة[٢].

وقد تقدم خبر الأفعال الناسخة (كان وأخواتها) على اسمها في كثير من الأمثال العربية الفصيحة وجوبا وجوازا ، ومن أمثلة ذلك قولهم : "لو كان عنده كنز النَّطْفِ ما عدا". والنَّطْفُ بن الخَيْبَري : رجلٌ من بني يَرْبُوع كان فقيراً يحمل الماء على ظهره فينطف – أي يقطر – فأغار على مالٍ بُعِثَ به بأذانُ إلى كسرى من اليمن فأَعْطَى منه يوماً حتى غابت الشمس، فضربت العربُ به المثلَ في كثرة المال[٣]. وأصل التقدير في المثل: لو كان كنز النَّطْفِ عنده ما عدا ، فتقدم الخبر شبه الجملة على اسم الفعل الناسخ جوازا.

١ انظر: المرجع السابق، ص ٥٦.
٢ غادة البواب، التقديم والتأخير في المثل – دراسة نحوية بلاغية، ص ٨١.
٣ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٢٢٠.

ومن ذلك قولهم : "ليس لعين ما رأت ولكن ليد ما أخذت" ، وأصله أن رجلا أبصرَ شيئاً مطروحاً فلم يأخذه ورآه آخر فأخذه؛ فقال الذي لم يأخذه: أنا رأيته قبلك فتحاكما فَقَال الحكم : ليس لعينٍ ما رأت ولكن ليدٍ ما أخَذَتْ[1]. وموضع الشاهد في المثل (ليس لعين ما رأت) حيث تقدم خبر الفعل الناسخ على اسمه ، إذ أصل التقدير: ليس ما رأت لعين. وتقديم الرؤية هنا لبيان أن الرؤية وحدها لا تكفي، والنزاع بين الشخصين على الرؤية أولا، فتقدمت الرؤية على الأخذ لذلك[2].

ومن ذلك أيضا قول الرسول صلى الله عليه وسلم "ليس من البر الصوم في السفر"[3] ، ففي هذا المثل النبوي الشريف "تم تقديم الخبر لأهميته ، ذلك أن موضوع الحديث كان عن الصيام في السفر... ففي إحدى الغزوات رأى النبي صلى الله عليه وسلم صحابياً وقد ظلله عدد من الصحابة، فسأل عن علة ذلك، فقيل : إنه صائم..فبدأ بقوله: ليس من البر.. إذ إن المخاطبين يعلمون أن الحديث عن الصيام في السفر، لكنهم ينتظرون الموقف الشرعي منه، أأجره عظيم أم ماذا؟ فلما قال: ليس من البر، علم الناس الحكم حتى قبل أن يكمل صلى الله عليه وسلم الجملة"[4].

---

١ المرجع السابق، ج٢، ص٢١٠-٢١١.

٢ انظر: غادة البواب، التقديم والتأخير في المثل، ص٨٣.

٣ صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لمن ظلل عليه واشتد الحر ليس من البر الصوم في السفر، ١٨١٠. وانظر: هاني طاهر، الأمثال النبوية في صحيح البخاري، ص١٠٩.

٤ هاني طاهر، الأمثال النبوية في صحيح البخاري، ص١١١.

ومن تقديم خبر الفعل الناسخ عليه قولهم: "(بسالم كانت الوقعة)[١] ، حيث تقدم الخبر على الفعل الناسخ واسمه جوازا ، إذ التقدير: كانت الوقعة بسالم. قال ابن الأنباري في أسرار العربية: " فإن قيل: فهل يجوز تقديم أخبارها على أسمائها؟ قيل: نعم يجوز، وإنما جاز ذلك لأنها لَمَّا كانت أخبارها مُشَبَّهة بالمفعول، وأسماؤها مشبهة بالفاعل، والمفعول يجوز تقديمه على الفاعل؛ فكذلك ما كان مشَبَّها به"[٢]، فتقديم الخبر على العامل وعلى الاسم معا لم يمنعه النحاة لمشابهة الخبر بالمفعول ، الذي يملك حرية في الانتقال من مكان إلى آخر. على العكس منه الاسم الذي يشبه الفاعل ، والذي لا يتمتع بحرية في الانتقال ، ورتبته من الرتب المقيدة"[٣].

ومن ذلك أيضا قولهم: "بجنبه فلتكن الوجبة"[٤]. "ويقال هذا عند الدعاء على الإنسان" قال بعضهم : كأنه قال "رماه الله بداء الجَنْبِ"، وهو قاتل، "فكأنه دعا عليه بالموت"[٥]. فالخبر (بجنبه) شِبْهُ جملةٍ تقدم على الناسخ (تكن) وعلى اسمه (الوجبة) جوازا.

---

١ الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص١٤٨.
٢ أبو البركات، كمال الدين الأنباري، أسرار العربية، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ص١١٦.
٣ المرجع السابق، ص١١٦ ، وانظر: غادة البواب، التقديم والتأخير في المثل، ص٨٣.
٤ الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ١٣٥.
٥ هاني طاهر، الأمثال النبوية في صحيح البخاري، ص٨٣.

وقولهم : "ليس لرجل لدغ من جحر مرتين عذر"[1]. فاسم الفعل الناسخ في هذا المثل (عذر) نكرة ، وخبره (لرجل) شبه جملة جار ومجرور ، فتقدم الخبر الفعل على الاسم وجوبا. وأصل التقدير فيه: ليس عذر لرجل.

ومن الأمثال الواردة في الأحاديث النبوية الشريفة قوله صلى الله عليه وسلم: "اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب"[2]. فالظرف تقدم على اسم ليس (حجاب)، وأصل التقدير: ليس حجاب بينه وبين الله.

وقال عليه الصلاة والسلام : "ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً؛ وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة"[3].
الشاهد في هذا المثل النبوي الشريف هو (من الإنسان شيء) حيث تقدم الخبر (من الإنسان) على اسم الفعل الناسخ (شيء).

وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الشريف : "ما من مسلم غرس غرساً، فأكل منه إنسان أو دابة إلا كان له به صدقة"[4] ، وموضع الشاهد فيه : (له به صدقة) فتقدم الخبر وهو شبه الجملة على اسم الفعل

---

١ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٢٤٦.
٢ صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى، ٤٠٠٠. وانظر: هاني طاهر، الأمثال النبوية في صحيح البخاري، ص١١٠.
٣ المرجع السابق، كتاب تفسير القرآن، باب يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا، ٤٥٥٤. وانظر: هاني طاهر، الأمثال النبوية في صحيح البخاري، ص١١١.
٤ المرجع السابق، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ٥٥٥٣. وانظر: هاني طاهر، الأمثال النبوية في صحيح البخاري، ص١١١.

الناسخ للاختصاص ؛ إذ الجزاء المقدم لمن تمثل بهذا الحديث له دون غيره[١].

وقال عليه الصلاة والسلام: "ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية"[٢]. حيث تقدم خبر الفعل الناسخ في هذا المثل؛ ليلفت انتباه السامع إلى هذا الذي ليس من النبي صلى الله عليه وسلم ، فيشد انتباهه إلى ما سيأتي من الحديث. فقدم الخبر، وأخر الاسم لذلك[٣].

وقال عليه الصلاة والسلام: "يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر؛ يفر بدينه من الفتن"[٤]. موضع الشاهد في هذا المثل النبوي : حيث قدم الخبر (خير) على اسم يكون (غنم) [٥].

وقال عليه الصلاة والسلام: "فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم"[٦]. موضع الشاهد: (يكون لك حمر) فقدم الخبر على المبتدأ لإبراز أهمية تملك هذه النعم للشخص[٧].

---

١ انظر: هاني طاهر، الأمثال النبوية في صحيح البخاري، ص١١٢.
٢ المرجع السابق، كتاب الجنائز، باب ليس منا من شق الجيوب، ١٢١٢. وانظر: هاني طاهر، الأمثال النبوية في صحيح البخاري، ص١١١.
٣ انظر: هاني طاهر، الأمثال النبوية في صحيح البخاري، ص١١٢.
٤ صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب التعرب، ٦٥٦١. وانظر: هاني طاهر، الأمثال النبوية في صحيح البخاري، ص١١١.
٥ انظر: هاني طاهر، الأمثال النبوية في صحيح البخاري، ص١١٢.
٦ المرجع السابق، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ٣٨٨٨. وانظر: هاني طاهر، الأمثال النبوية في صحيح البخاري، ص١١٢.
٧ هاني طاهر، الأمثال النبوية في صحيح البخاري، ص١١٢.

حولية
مجلة
الدراسات
الإسلامية

الفصل الثالث

التقديم والتأخير في الجملة الفعلية:

تقديم المفعول به

إن الأصل في الفاعل أن يتصل بفعله لأنه كالجزء منه، ثم يأتي بعده المفعول به آخِرًا؛ لأنَّهُ فضلةٌ في الكلام، وإن تقدم المفعول به على فاعله فيعتبر هذا التقديم تقديما في اللفظ لا في الرتبة، ومرتبة الفاعل أنْ تكون وسطًا، فإنْ توسَّط المفعول، أو قُدِّم على الفعل؛ فذلك للاهتمام به. قال سيبويه – عقيب ذكر المفعول به –: "يقدِّمون في كلامهم ما هم ببيانه أهمّ وأَعْنَى"[١]، على هذا الحكم تُقَدِّمه على الفاعل، كقولك: (ركب الفرسَ الأميرُ) اهتماماً بذكره.

وقد ورد التقديم والتأخير بين الفعل وفاعله ومفعوله في كثير من الأمثال العربية الفصيحة. وسأتناول أولا مسوغات تقديم المفعول به على الفاعل جوازا ووجوبا، ثم تقديم المفعول به على الفعل والفاعل معا جوازا ووجوبا.

من الثابت عند علماء اللغة أن المفعول به يجوز أن يُقدّم بسبب أهميته ورتبته، على ألا يحدث ذلك التباسا بين الفاعل والمفعول به أو أي من عناصر الجملة، كما هو الحال مع الأسماء المقصورة إذا كانت متعاقبة في وظيفة الفاعل والمفعول به، مثل (التقى موسى عيسى)؛ فيجب في هذه الحالة أن يتقدم الاسم موسى وأن يتأخر عيسى ليكون في وظيفة

---

١ سيبويه، الكتاب، ص٣٤.

المفعول به، وإلا لم يعرف أنه كذلك لعدم ظهور حركة الإعراب على آخره. وحين يؤمن اللبس يجوز التقديم والتأخير بين الفاعل والمفعول به، كأن تقول: (أكلتْ الكُمَّثْرى الحبلى) و(أخذت ليلى الحُمَّى) و(أكْرَمَتْ مُوسَى سَلْمَى) وما أشبه ذلك[١].

وقد ورد في الأمثال العربية تقدم المفعول به على الفاعل جوازا، ومن ذلك قولهم: "تُقَطِّعُ أعناق الرجال المطامع"[٢]. "ويضرب هذا المثل في ذمِّ الطمع والْجَشَع"[٣]، والشاهد فيه: أن المفعول به (أعناق الرجال) تقدم على الفاعل (المطامع) جوازا ، "ولعل الحرص على إبراز نتائج المطامع وأثرها سبب في تقديم المفعول به ، وهو محور المعنى لإبراز أثر الطمع، ولهذا أخر الفاعل وقدم المفعول به الذي أصبح بؤرة في المعنى ومحورا للدلالة"[٤].

ومن ذلك أيضا قولهم: (لا يضرُّ السحابَ نُبَاحُ الكلابِ)[٥]. "ويضرب المثل لمن ينال من إنسان بما لا يضره"[٦]، والشاهد في المثل حيث تقدم المفعول به (السحاب) على الفاعل (نبح الكلاب) جوازا. وتأخير الفاعل (نباح الكلاب) بسبب ضعف أهميته وقلة رتبته في التأثير مقارنة مع

---

١ انظر: محمد بن الحسن الصايغ (٧٢٠هـ)، اللمحة في شرح الملحة، دراسة وتحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م. وانظر: السيوطي، همع الهوامع، ج٣، ص٩.

٢ الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص١٩٣.

٣ الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص١٩٣.

٤ غادة البواب، التقديم والتأخير في المثل، دراسة نحوية بلاغية، ص ٦٧.

٥ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٢٥٥.

٦ غادة البواب، التقديم والتأخير في المثل، دراسة نحوية بلاغية، ص ٦٦.

السحاب العالي الذي يستحق التقدّم ولا يتناهى إليه الفاعل (نباح الكلاب).

وأما فيما يتعلق بتقدّم المفعول به على الفاعل وجوبا، فيأتي ذلك في أحوال عدة، هي :

١- أَنْ يتصل بالفاعل ضمير يعود على المفعول به، فيجب تأخير الفاعل وتقديم المفعول به، وقد نص الأئمة على أنه متى اتصل بالفاعل ضمير يعود على المفعول به وجب تقديم المفعول لئلا يعود الضمير على متأخر لفظا ورتبة[١]. ومثال ذلك قوله تعالى: (يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ) حيث تقدم المفعول به في هذه الآية الكريمة (الظالمين) على الفاعل (معذرتهم) وجوبا ؛ لاشتمال الفاعل على ضمير يعود على المفعول به. ومثل: أكرَمَ سعيداً غُلامُه، وفتح المحلَّ صاحبه، وأكل الطعامَ طابخه، وإلى غير ذلك من الأمثل التي يجب أن يتقدم المفعول به على الفاعل لكي لا يعود الضمير في الفاعل على متأخر.

وقد ورد في الأمثال العربية ما يتماشى مع هذه القاعدة النحوية، ومن ذلك قولهم: (أحرز اِمْرَأً أجلُه)[٢]. قاله علي ، رضي اللّه عنه ، حين قيل

---

١ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ج١، ص٣٠٧.

٢ الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٢٧٨، وانظر: غادة البواب، التقديم والتأخير في المثل، دراسة نحوية بلاغية، ص ٥٩.

له : أتَلْقَى عدوَّك حاسرا؟[1]. والشاهد فيه : حيث تقدم المفعول به (امرأً) على الفاعل (أجلُه) وجوبا ؛ لاتصال الفاعل بضمير يعود على المفعول به.

ولحمل على ذلك أيضا المثل: "أعط القوسَ باريها"[2]، الذي يشير إلى أنّ الصواب أن يعطى أهل الصنعة والمسألة صنعتهم ومسألتهم. والشاهد فيه هو تقدم المفعول به على الفاعل وجوبا؛ لاتصال الفاعل (باريها) بضمير (الهاء) العائد على القوس.

ومنه قولهم أيضا: (غلَّ يدا مطلُقها، واسترق رقبَةً معتقُها)[3]. "ويضرب هذا المثل لمن يُسْتَعبد بالإحسان إليه"[4]. والشاهد فيه تقدُّم المفعول به (يدا ، رقبة) على الفاعل وجوبا؛ لاتصال الفاعلين (مطلقها و معتقها) على (ضميرين) هما (الهاء) العائدين على المفعولين بهما"[5].

٢- المسوغ الثاني لوجوب تقدم المفعول به على الفاعل هو أن يكون الفاعل محصورا بـــ(إنَّما أو بإلاَّ) المسبوقة بالنفي. ومنه قوله تعالى ((إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ)) ، فتقدم المفعول به وهو لفظ

---

١ الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٢٧٨، وانظر: غادة البواب، التقديم والتأخير في المثل، دراسة نحوية بلاغية، ص ٥٩.
٢ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٢٣.
٣ المرجع السابق، ج٢، ص٧٢.
٤ المرجع السابق، ج٢، ص٧٢.
٥ غادة البواب، التقديم والتأخير في المثل، دراسة نحوية بلاغية، ص ٥٩.

الجلالة (الله) على الفاعل (العلماء) وجوبا ؛ وذلك لانحصار الفاعل بـــ(إنما)[١].

ومن الأمثال العربية الواردة على هذه القاعدة قولهم: (إنما خدشَ الخدوشَ أنوشُ)[٢]. الخَدْش : الأثر. وأنوش : هو ابن شيث بن آدم صلى اللّه عليهما وسلم، أي: أنه أول من كَتَبَ وأثر بالخط في المكتوب يضرب فيما قَدُمَ عهدُه[٣]. الشاهد فيه: حيث تقدم المفعول به (الخدوشَ) على الفاعل (أنوشُ) وجوبا؛ لانحصار الفاعل بـــ(إنما). وهنا لطيفة بلاغية في تقديم المفعول به ذكرتها الباحثة غادة البواب وهي أن المفعول به قدم وجوبا "لأهمية الأثر الذي تركه الخدوش، ولبيان أن من قام بهذا العمل هو أنوش وحده، لا غيره، فهو حصر يراد به التخصيص من حيث الدلالة"[٤].

"ومن الأمثلة المشابهة أيضا ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم: "ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب . ويتوب الله على من تاب"[٥]، حيث قدّم المفعول به الفاعل وجوبا؛ لأن الفاعل محصور بـــ(إلا)، والتقديم هنا له دلالة ؛ إذ لو قال: يملأ الترابُ عينَ ابن آدم، لكان من المحتمل أن تملأ عينه أشياء أخرى غير التراب، أما بهذه الصيغة فلا يملؤها شيء سوى

---

١ انظر: المرجع السابق، ص ٦٠.
٢ الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٤٩.
٣ الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٤٩.
٤ غادة البواب ، التقديم والتأخير في المثل، ص٦١.
٥ صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب، ٦٠٦١.

التراب، ولو جيء بأموال الدنيا كلها ما ملأت عينه". فتقدم المفعول به على الفاعل لإفادة الحصر"[1].

٣- أن يكون المفعول به ضميرا متصلا والفاعل اسما ظاهرا[2]، نحو: أسعدتني الجامعة الأردنية بقبولها لي، وأفرحني الأساتذة بعطفهم عليّ. فتقدم المفعول به (ياء المتكلم) في (أسعدتني و أفرحني) على الفاعل وجوبا؛ لأنّ الفاعل اسم ظاهر والمفعول به ضمير متصل.

وقد ورد في أمثالنا العربية الفصيحة ما يتماشى مع هذه القاعدة، كقولهم: "أوردها سعد وسعد مشتمل"[3]. والمقصود بسعد هذا هو سَعْد بن زيد مَنَاة أخو مالك بن زيد مَنَاة الذي يُقَال له : آبل من مالك، ومالك هذا هو سبط تميم بن مرة، وكان يُحمَق، إلاَ أنه كان آبل زمانه، ثم إنه تزوج وَبَنَى بامرأته، فأورد الإبلَ أخوه سَعْد ولم يحسن القيام عليها والرفق بها فَقَالَ مالك :

أوْرَدَهَا سَعْدٌ وسَعْدٌ مُشْتَمِلْ ... مَا هكَذَا يا سعدُ تُورَدُ الإبل[4]

فصار هذا مثلا فيمن لا يقوم بالأمر على حقه ويقصر فيه[5]. والشاهد فيه هو تقدّم المفعول به ضمير الهاء المتصل بالفعل (أوردها) على الفاعل (سعدٌ) وجوبا.

---

١ انظر: هاني طاهر حسين، الأمثال النبوية في صحيح البخاري ، ص(١١٥).
٢ غادة البواب، التقديم والتأخير في المثل، دراسة نحوية بلاغية، ص ٦١.
٣ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٤٢٩.
٤ المرجع السابق، ج٢، ص٤٢٩.
٥ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص٤٢٩.

والأمثلة على ذلك في الأمثال العربية الفصيحة كثيرة، ومن ذلك قولهم: "أصابته حَطْمَةٌ حتَّتْ ورقَه"[١]، وقولهم: "لا يحزنكِ دمٌ هَرَاقَهُ أهلُهُ"[٢]. وغير ذلك.

تقديم المفعول به على الفعل وفاعله معا جوازا ووجوبا:

يتقدم المفعول به على الفعل والفاعل معا، جوازا ووجوبا، ولكل من الجواز والوجوب شروط.

أ- تقديم المفعول به على الفعل جوازا

يجوز تقديم المفعول به على الفعل والفاعل جوازا لأغراض بلاغية عديدة.

ومن أمثلة ذلك في الأمثال العربية الفصيحة قولهم: "حَرَامَهُ يَرْكَبُ مَنْ لاَ حَلاَلَ لَهُ"[٣]. حرامه: الناقة التي يُحرِّم أهلُ الجاهلية ركوبَها. ويضرب المثل لمن اضْطُرَّ إلى ما يكرهه. والأصل المقدر: يركب من لا حلال له حرَامه. والشاهد فيه: حيث تقدم المفعول به على الفعل والفاعل جوازا للأهمية.

ومن الأمثلة المثلية أيضا قولهم: (خَيْرَ حَالَبَيْكِ تَنْطَحِينَ)[٤]. وأصله أن شاة أو بقرة كان لها حالبان وكان أحدهما أَرْفَقَ بها من الآخر فكانت

١ المرجع السابق، ج١، ص٥٠٦.
٢ المرجع السابق، ج٢، ص٩٦.
٣ الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٢٦٠.
٤ المرجع السابق، ج١، ص٣٠٧.

تنطحه وتَدَعُ الآخر[١]. ويضرب المثل لمن يكافئ المحسنَ بالإساءة[٢] والأصل المقدر: تنطحين خير حالبيك، فتقدم المفعول به على الفعل (تنطحين) جوازا، وتقدم على الفاعل وجوبا؛ لأن الفاعل اشتمل على ضمير يعود على المفعول به. ولا يخفى ما في ذلك من لفتة بلاغية في تقديم المفعول به. وكأنه يحمل في طياته استفهام إنكاري[٣].

ومنه قولهم: (مظلومَ وطب يشرب المحبَّب)[٤]. "والمَظْلُوم: اللبن الذي يُحْقَن، ثم يُشْرَب قبل أن يَرُوبَ. والمَحَبَّب: الممتلئ رِياً يقال: شربت الإبل حتى تَحَبَبَتْ أي تملأت من الماء. ويضرب المثل لمن أصاب خيراً ولاَ حاجَةَ به إليه كمن يشرب اللبن وهو رَيَّان[٥]. الأصل المقدر: يشرب المحبَّبُ مظلومَ وطْب. والشاهد فيه: حيث تقدم المفعول به على الفعل والفاعل جوازا. والتقديم هنا "للاختصاص؛ لأن المتكلم قد أراد أن يبرز أهمية الشيء الممنوح وليس الشخص الذي مُنح ذلك الشيء، ولهذا كان للمثل معناه في إبراز الدلالة المقصودة"[٦].

ب- تقديم المفعول به على الفعل وجوبا

يجب تقديم المفعول به على الفعل والفاعل، وذلك في صور منها:

١ المرجع السابق، ج١، ص٣٠٧.
٢ المرجع السابق، ج١، ص٣٠٧.
٣ المرجع السابق، ج١، ص٣٠٧.
٤ المرجع السابق، ج٢، ص٣٧٢.
٥ المرجع السابق، ج٢، ص٣٧٢.
٦ غادة البواب، التقديم والتأخير في المثل، ص٧٢.

الموضع الأول: أن يكون المفعول به واحدا من الأشياء التي يجب لها التصدر، وذلك إذا تضمن شرطا.

الموضع الثاني: أن يكون المفعول ضميرا منفصلا.

ومن أمثلة التقديم وجوبا في الأمثال العربية الفصيحة قولهم: "إياكِ أعني واسمعي يا جاره"[١]، يضرب لمن يتكلم بكلام ويريد به شيئاً غيره، أو يعني شخصا غير المخاطب[٢]. والشاهد فيه هو تقدم المفعول به (إياك) على الفعل على الوجوب؛ لأن المفعول به ضمير منفصل. تقول الباحثة غادة البواب: "وهو في صورته هذه يحصر المفعول به حصرا لا شك معه، ولا يشركه فيه أحد، ولذلك قدّمه على الفعل والفاعل، فالتقديم هنا له من الدلالة البلاغية ما هو متناسب مع الانزياح في ترتيب عناصر التركيب، ولو أُخّر المفعول به لتلاشى الحصر أو تغيّر المعنى"[٣].

تقديم المنصوبات الأخرى غير المفعول به

قد تتقدم المنصوبات الأخرى غير المفعول به عن موضعها الأصلي، فمثلا قد تتقدم الحال على صاحبها وعاملها وجوبا وجوازا ، وذلك لمعانٍ بلاغية يمكن الوقوف عليها من خلال السياق في الجملة المثلية. ومن ذلك قولهم في المثل العربي الفصيح: "كارها يطحن كيسان"[٤]. ويضرب في من يعمل عملا وهو غير راغب فيهة ومكره عليه. ومعنى كيسان:

---

١ الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٨٣.
٢ الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٨٣-٨٤.
٣ غادة أحمد البواب، التقديم والتأخير في المثل، ٦٩.
٤ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص١٩٥.

اسم رجل. والأصل المقدر في المثل: يطحن كيسان كارها، فقدّم الحال (كارها) على عاملها (يطحن) وصاحبها (كيسان) جوازا ، والتقديم هنا "من باب العناية به"[1].

ومن ذلك أيضا قولهم: "كُرْهًا تركبُ الإبِلُ السفرَ"[2]. يضرب للرجل الذي يعمل العمل الذي يكرهه. والأصل المقدر: تركب الإبل السفر كرها. والشاهد فيه: حيث تقدمت الحال على صاحبها (الإبل) وعلى عاملها (تركب) جوازا، وهذا "التقديم من باب العناية والاهتمام بها، فليس كل ما يقوم به المرء يكون عن طيب خاطر، ولإبراز ذلك تقدمت الحال فأصبحت معنى محوريا في التركيب اللغوي. فلو تأخرت لفقدت قيمتها الدلالية التي يقصد منها إبراز الإكراه على الأمر، ولهذا جاء الانحراف في ترتيب عناصر التركيب اللغوي متوافقا مع القيمة المعنوية المقصودة التي تحققها من خلال ذلك"[3].

ومن ذلك أيضا قولهم: (كارها حجَّ بيطرُ)[4]. بَيْطَر: اسم رجل. "ويضرب للرجل يصنع المعروف كارهاً لا رغبةَ له فيه"[5]. والأصل المقدر: حج بيطر كارها، فتقدم الحال (كارها) على عاملها (حج) وعلى فاعلها (بيطر) جوازا.

---

١ غادة البواب، التقديم والتأخير في المثل،٨٠.
٢ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص١٩٤.
٣ غادة البواب، التقديم والتأخير في الأمثال العربية – دراسة نحوية بلاغية، ص ٧٩-٨٠.
٤ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص١٩٠.
٥ غادة البواب، التقديم والتأخير في الأمثال العربية – دراسة نحوية بلاغية، ص ٨٠.

ومنه قولهم: (شتّى يؤوب الحَلَبَةُ)[١]. وذلك أنهم يُورِدُون إبلَهم وهم مجتمعون فإذا صَدَرُوا تَفَرَّقوا واشتغل كلٌّ واحدٍ منهم بحلب ناقته ثم يؤوب الأول فالأول. يضرب في اختلاف الناس وتفرقهم في الأخلاق. وشَتَّى : في موضع الحال أي يَؤُوب الحلَبة متفرقين وشَتَّى : فَعْلَى من شَتَّ يشت إذا تفرق. والشاهد في المثل: حيث تقدمت الحال (شتى) على عاملها (يؤوب) وعلى صاحبها (الحلبة) جوازا؛ لأن المعنى المقصود هو كيفية العودة والتفرق بين هؤلاء الحلبة، فتقدمت الحال لإبراز هذا الغرض "فأضفت على المعنى بعدا إضافيا يكشف عن طبيعة العودة وهيئتها لا العودة نفسها ولا الذي يعود، فجاء التقديم للحال متوافقا مع قيمتها الدلالية في محورية المعنى في هذا المثل"[٢].

وتتقدم الحال على عاملها وصاحبها وجوبا إذا كانت من الأسماء التي لها الصدارة في الكلام، مثل قولهم: "كَيْفَ تَرَى ابْنَ أُنْسِكَ"[٣].

١ الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٤٥٣.
٢ البواب، ص٧٩.
٣ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص١٩١.

حولية
مجلة
الدراسات
الإسلامية

الفصل الرابع

التقديم والتأخير في شبه الجملة

تتقدم شبه الجملة المكونة من الجار والمجرور، أو من الظرف أو من المضاف إليه على الفعل أو الفاعل ، وقد ورد في الأمثال العربية الكثير من الأمثال التي تقدمت فيها شبه الجملة على الفعل والفاعل ومن ذلك قولهم: "بالساعدين تبطش الكفان"[١]، "ويضرب المثل في تعاونِ الرجلين وتساعُدِهما وتعاضُدِهما في الأمر". والشاهد في المثل: تقدمت شبه الجملة على الفعل والفاعل جوازا. والأصل المقدر في المثل: تبطش الكفان بالساعدين. فقدّم الساعدين على الفعل والفاعل. "ولهذا كان تقديم الساعدين متوافقا مع وقع أهميّة الدور الذي يؤديه في المثل، إذ إن مدار المثل على الأعوان وأثرهما، فلو أخر الساعدين في المثل لكان إخبارا، ولا تتحقق فيه تلك الفائدة التي يبرزها تقديم شبه الجملة (بالساعدين)"[٢].

ومنه أيضا قولهم: "على أهلها تجني براقش"[٣]. وكانت "بَرَاقشُ كلبةً لقومٍ من العرب، فأغير عليهم، فهَرَبُوا ومعهم بَرَاقش، فاتبع القومُ آثارَهُم بنُبَاح بَرَاقش، فهجموا عليهم فاصطلموهم"[٤]. والشاهد: حيث تقدمت شبه الجملة على الفعل (تجني) وعلى الفاعل (براقش) ، وذلك لإظهار الدهشة

---

١ الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص١٣٧.
٢ انظر: غادة البواب، التقديم والتأخير في المثل، ص٨٩.
٣ الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص١٨.
٤ غادة البواب، التقديم والتأخير في الأمثال العربية – دراسة نحوية بلاغية، ص ٩٠

أو "لتعجيل المساءة، ولبيان موضع التأثير؛ إذ إنَّ الأهل هم المتأثرون وهم مدار الشاهد الدلالي في ضرب المثل لذا كان تقديم شبه الجملة. وبذلك يبرز أثر الجناية بأنه على الأهل لأنهم أول من تأثر بها، ولهذا كان الانحراف عن التركيب الافتراضي، مؤديا لمعنى جديد يبرز القيمة الدلالية لشبه الجملة في موقعها الجديد"[1].

(إذا زلّ العالِمُ زلّ بزلته عالَمٌ" فشبه الجملة في هذه الأمثال تقدمت على الفاعل أو على الفعل والفاعل ، وذلك كله لأغراض بلاغية عديدة فقد تقدمت شبه الجملة (بزلته) على الفاعل وذلك لإبراز أهمية زلة العالِم وعمق أثرها فيمن بعده، "ولهذا كانت الزلة الصادرة عن العالِم أسبق في الجملة ؛ لأنها هي المؤثر فيما هو متأخر"[2].

يظهر مما تقدّم أن التقديم لشبه الجملة يشترك في الغالب في الدلالة مع أنواع التقديم في مكونات الجملة الأخرى، وغالبا يكون ذلك للأهمية التي يتضمنها المتقدّم، فتقدم شبه الجملة يدل على رتبة أحد مكوناتها، ويجعل تلقي الجملة مركزا في المرتبة الأولى على الجزء الأول من الجملة، وهذا يجعل مدار الجملة يدور حولها أو ربما محصورا فيها.

---

١ المرجع السابق، ص٩٠.

٢ غادة البواب، التقديم والتأخير في الأمثال العربية – دراسة نحوية بلاغية، ص ٩٠.

الخاتمة

ظهر من خلال هذا البحث أن التقديم والتأخير ظاهرة لغوية أساسيّة في الأمثال العربية الفصيحة، وأن هذه الظاهرة في مجملها تنطبق عليها قواعد الفصحى في التقديم والتأخير، وما خرج عنها أبقاه العرب على صيغتها الواردة لأن الأمثال تُحفظ بشكلها كما وردت عن العرب. وظاهرة التقديم والتأخير في الأمثال محكومة في غالبها بالقواعد القياسية، وفيها غاية دلالية مهمة، في الغالب إبراز المعنى الأهم وحفظ رتبته في نفس المتلقي وترك الأثر المناسب فيها.

والأمثال العربية الفصيحة وما فيها من تقديم وتأخير لا بد أن تُحفظ في الشكل الذي وصلت عليه، ولا ينبغي التحوير فيها، والتعديل في شكلها؛ لأنَّ العلماءَ عدّوها من ذوات الرتب المحفوظة، ولو كانت مخالفة للقواعد النحوية التي أصّلها النحاة باستقراء لغة العرب، كما اعتبروها مسوغا من مسوغات الخروج على الأصل القياسي في ترتيب عناصر التركيب اللغوي. واحتفظت الأمثال الفصيحة عند اللغويين العرب بمكانة مهمة باعتبارها أصلا من أصول اللغة التي تؤخذ منها القواعد القياسية، سواء أكان ذلك على مستوى البنية اللغوية، أم على مستوى ترتيب المعاني وخلق الأثر البلاغي.

وعبر التقديم والتأخير في عناصر جملة المثل، تُحقق الجملة واحدة من أهمّ خصائصها وهي التكثيف مع احتفاظها بتأثير خاص على المستوى الدلالي وتوجيه لانتباه السامع إلى بؤرة محددة في المعنى وإلى مستوى من مستوياته الدقيقة، لا سيّما أنّ المثل يعبّر عن المجموع الثقافيّ

وأنساقه الكليّة في المجتمع الذي تنطلق منه، من ثَمّ تصبح قابلة للتعميم على ما ينطبق على متشابهات الحالة التي عبّرت عنها في المقام الأول.

قائمة المصادر والمراجع

١- الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٠، ط٢.

٢- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ــ القاهرة.

٣- أبو البركات، كمال الدين الأنباري، أسرار العربية، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٤- ابن جني، الخصائص، تحقيق محمّد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، ط٣.

٥- ابن جني، المحتسب، تحقيق مصطفى الحلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٥٤.

٦- أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، د.ت.

٧- سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨، ط٣.

٨- توماس أ. سلوان، موسوعة البلاغة، جزء ٢، ترج. مجموعة من المترجمين، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٦م.

٩- الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، حققه وعلق عليه محمد محمد عبد المقصود وحسن محمد عبد المقصود، دار الكتاب المصري، اللبناني، القاهرة، بيروت، ط١، ٢٠٠١.

١٠- الشافعي، شرح الكافية الشافية، تحقيق على محمد معوض وعادل أحمد بن الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

١١- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ط٣.
١٢-
١٣- المبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط٢.
١٤- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط٣.
١٥- السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه محمد زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ط٢.
١٦- غادة أحمد البواب، التقديم والتأخير في المثل العربي، دراسة نحوية بلاغية، رسالة علمية صادرة عن جامعة مؤتة، ٢٠٠٦.
١٧- أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ط١.
١٨- جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق وشرح عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
١٩- السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
٢٠- الميداني، أحمد بن محمد النيسابوري، مجمع الأمثال، قدم له وعلق عليه نعيم حسن زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢١- أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨، ط٢.
٢٢- عبد اللطيف محمد حماسة، من الأنماط التحويلية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠، ط١.
٢٣- علي أبو القاسم عون، بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، دار المدار الإسلامي بيروت، ط ١ ، ٢٠٠٦م.
٢٤- صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٢٥- هاني طاهر محمد حسين، الأمثال النبوية في صحيح البخاري، دراسة لغوية دلالية، رسالة علمية صادرة عن جامعة النجاح الوطنية في نابلس بفلسطين، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
٢٦- محمد بن الحسن الصايغ (٧٢٠هـ)، اللمحة في شرح الملحة، دراسة وتحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
٢٧- محمود السّيد شيخون، أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم ، ٧٣-٧٤. وانظر: فضل حسن عباس، البلاغة العربية فنونها وأفنانها، دار الفرقان للنشر، عمان، ٢٠٠٧م، ط١١.
٢٨- موفق الدين بن يعيش النحوي، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، د.ت.